

دور الخدمات العمومية في تنامي علاقات المدن- مراكز الولايات بمجالاتها:

مثال مدينة مدينين بالبلاد التونسية

فتححي الشافعي (1) سارة اللافي (2)

(1) باحث ما بعد الدكتوراه، مخبر الحوكمة والتنمية الترابية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس

(2) طالبة دكتوراه، مخبر الحوكمة والتنمية الترابية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية تونس

ملخص

وتتميز المدن الصغيرة والمتوسطة بأهمية انتشارها الجغرافي مقارنة بالمدن الكبرى وتنوع أنشطتها الاقتصادية وبحجمها الديمغرافي المتنامي وتقوم بدور أساسي في تنظيم المجالات المحلية والجهوية عبر مجموعة من الآليات من أهمها الخدمات العمومية. وتعتبر مدينة مدينين بالجنوب الشرقي للبلاد التونسية مثالا لمدينة متوسطة عرفت ترقية إدارية متواصلة منذ فترة الاحتلال الفرنسي وتواصلت بعد الاستقلال، واحتضنت مجموعة من الوظائف القيادية مكنتها من تنمية علاقاتها على المستوى المحلي والجهوي بالرغم من حدة التنافس الحضري الموجودة مع بقية مدن الولاية. وتعمل المدينة على الاستفادة من موقعها الجغرافي وتدعيم وظائفها وتنويعها لتنمية إشعاعها الإقليمي.

كلمات المفاتيح: المدن الصغرى والمتوسطة - مدينة مدينين - الوظائف - العلاقات

Summary

Small and medium cities are characterized by the importance of their geographical spread, the diversity of their economic activities, and their growing demographic size compared to major cities. They play a key role in organizing local and regional areas throughout a number of mechanisms, the most important of which are public services. Medenine is a city that located in the southeast of Tunisia, it is an example of medium-sized city, that has witnessed continuous administrative promotion since the period of the French occupation. Added to that, it incubated a number of leadership at the local and regional level despite the intensity of urban rivalry with the rest of state's cities. In fact, the city is working on the advantage of its geographical location and strength its functions and diversifying it to Increasing its regional radiation.

Keywords: The small and medium cities- City of Medenine - Jobs- relations.

المقدمة

تقوم المدن المتوسطة في أغلب دول العالم بدور رئيسي في تنظيم مجالها المحلي والإشراف وتوفير جملة من الأنشطة الحضرية لسكانها والتي يمكن أن يمتد إشعاعها إلى المستوى الجهوي وأحيانا الإقليمي (B-Garnier J. 1980)، وتعتبر الخدمات العمومية من أهم الوظائف التي تقدمها المدن لمجالاتها المجاورة، وتساهم بدرجة كبيرة في تنويع علاقاتها، وتدعم هذه الوظيفة أكثر عندما يتعلق الأمر بمراكز الولايات التي تمتلك مجموعة من الوظائف القيادية تصدرها إلى بقية المجال الجهوي.

وتعتبر مدينة مدين بالجنوب الشرقي للبلاد التونسية مثالا للمدن المتوسطة التونسية التي استفادت من وظيفتها القيادية التاريخية منذ القرن التاسع عشر وازدادت أثناء الاحتلال الفرنسي وتدعمت أكثر بعد الاستقلال وأصبحت مدينة مدين عاصمة الولاية، واستفادت من جملة القرارات السياسية ذات الأهداف التنموية التي اعتمدها الدولة منذ ستينات وسبعينات القرن الماضي. وعرفت المدينة دينامية حضرية سريعة ساهمت بدرجة كبيرة في تدعيم وزنها ادريا وسياسيا واقتصاديا وديمغرافيا، وتنوع شبكة علاقاتها التي تجاوزت المجال الجهوي. لكن وجود مجموعة من المدن المنافسة داخل الولاية، وبنفس الحجم الديمغرافي تقريبا وبنفس التجهيزات والخدمات العمومية الموجودة في مركز الولاية، جعل من مدينة مدين غير قادرة على القيام بدورها كمدينة مهيمنة في الولاية بالرغم من تنامي بعض الوظائف الإقليمية.

1- دينامية حضرية سريعة

1-1-1 ارتقاء مدينة مدين إلى مركز ولاية

1-1-1-1 نشأة مدينة مدين

تعتبر مدينة مدين حديثة الظهور نسبيا وليس لها عراقة تاريخية كبيرة وارتبط ظهورها بالوالي الصالح سيدي علي بن عبيد (ليسير ف.، 1998) الذي استقر في الموضع الحالي للمدينة في وأخر القرن التاسع عشر وتجمعت حوله البعض من عروش ورغمة⁵² وشيّدت مجموعة من القصور حول ضريحه⁵³ (مقني ر.، 2007).

⁵² يضم اتحاد ورغمة مجموعة من العروش الموزعة في منطقة الجفارة والظاهر وهي على التوالي : الخزور حول مدين وتوازين حول بن قردان والودارنة والجليدات حول تطاوين وعكارة حول جرجيس والغمراسنية حول غمراسن ...
⁵³ قامت عروش ورغمة بتشيد 33 قصرا حول ضريح الوالي الصالح سيدي علي بن عبيد

الخريطة عدد 01: موقع مدينة مدين



ومع سيطرة قوات الاحتلال الفرنسية على الجنوب التونسي سنة 1884 بدأت الوظيفة القيادية للمدينة في البروز وحدث بها سنة 1889 مقر القيادة العسكرية بالجنوب التونسي تشرف على منطقتي الجفارة والظاهر⁵⁴ وفي 1907 ازدادت المكانة العسكرية أكثر وأصبحت مقرا لجميع القيادات بالتراب العسكري بالجنوب⁵⁵. ومدتيا انفصل نجح ورغمة منذ أواخر القرن التاسع عشر عن قيادة الأعراس⁵⁶ بقابس، وأصبحت مدينة مدين سنة 1897 مقرا لعمالة ورغمة⁵⁷ التي تمتد على أكبر جزء من المجال الوطني (الشافعي ف.، 2020)، وواصلت سلط الحماية الفرنسية الاهتمام بالمدينة وترقيتها إلى بلدية سنة 1913 بهدف توطين السكان ومراقبتهم، وبالرغم من إحداث عمالة تطاوين سنة 1925 وانفصالها فان ذلك لم يؤثر على الوزن الإداري

⁵⁴ مناطق طبيعية في الجنوب التونسي بالقرب من الحدود مع ليبيا.

⁵⁵ خلال الفترة الاستعمارية كان أغلبية الجنوب التونسي منطقة عسكرية تمتد على كامل نفاوة ومطامة ومدين وتطاوين وبن قردان وجرجيس.

⁵⁶ تمتد قيادة الأعراس على أغلبية الجنوب التونسي بداية من قابس إلى الحدود مع ليبيا.

⁵⁷ سلطة جهوية داخل التراب العسكري بالجنوب التونسي أثناء الفترة الاستعمارية على رأس كل منها عامل وتضم عمالة مدين أربع خلفاوات وهي الخزور بمدين والتوازين بن قردان والعكارة بجرجيس والودارنة بتطاوين ومعهم الجليدات والجبالية ويساعده الكاهنة والخليفة على مستوى محلي

للمدينة. وساهمت هذه الترقية المتواصلة في بداية تشكل ملامح الإشراف الجهوي لمدينة مدينين على مجال الجفارة، وتزامنت مع إحداث جملة المرافق العمومية كالـتعليم والصحة والإدارة... وتنامي فرص الشغل واستقطاب متزايد لسكان الأرياف المجاورة وتشكلت نواة حضرية ارتفع عدد ساكنها من 1500 ساكن سنة 1936 إلى أكثر من 5 آلاف⁵⁸ ساكن مع الاستقلال سنة 1956.

2-1-1- مدينة تصبح مركز ولاية

قامت البلاد التونسية اثر الاستقلال مباشرة باعتماد تقسيم ترابي جديد يتكون من ثلاثة مستويات: الأول الولايات وعددها 14 ولاية وعوضت المراقبات المدنية⁵⁹ والتراب العسكري، والثاني المعتمديات على المستوى المحلي وعددها 97 عوضا على القيادات⁶⁰ والمستوى الأخير العمدات التي عوضت المشايخ⁶¹.

Après l'indépendance, le choix d'une organisation centralisée visait l'édification à l'Etat-nation. L'architecture territoriale a été modifiée avec une organisation du territoire national à trois niveaux: les gouvernorats régionaux au nombre de 14 ont remplacé les 20 contrôles civils, les délégations (au nombre de 97) ont pris la place des 37 caïdats et enfin, les *imadats* (ou secteurs) dont le nombre s'élève à 743 ont remplacé les *cheikhas* (en 1969)⁶².

ولم يبق هذا التقسيم الترابي بالبلاد التونسية على حاله بل عرف عديد التغيرات اتجهت جميعها نحو المزيد من التجزئة للتراب الوطني والترفيـع في عدد الوحدات الترابية، فالولايات أصبحت 24 ولاية منذ سنة 2000 في حين ارتفعت المعتمديات إلى 264 معتمدية سنة 2018. وتجاوز عدد العمدات 1400 عمادة.

وعلى اختلاف الفترات والمراحل مكّن هذا التقسيم مدينة مدينين من المحافظة على مكانتها القيادية وأصبحت مركز ولاية مدينين التي تضمّ مدن جرجيس وجربة وبن قردان وتطاوين وحتى تحوّل هذه الأخيرة إلى ولاية سنة 1981⁶³ لم يؤثر كثيرا على مكانة مدينة مدينين التي بقيت مستقطبة لأجزاء هامة من هذه الولاية.

الخريطة عدد02: خريطة ولاية مدينين

⁵⁸ المعهد الوطني للإحصاء تعداد 1936 و1956.

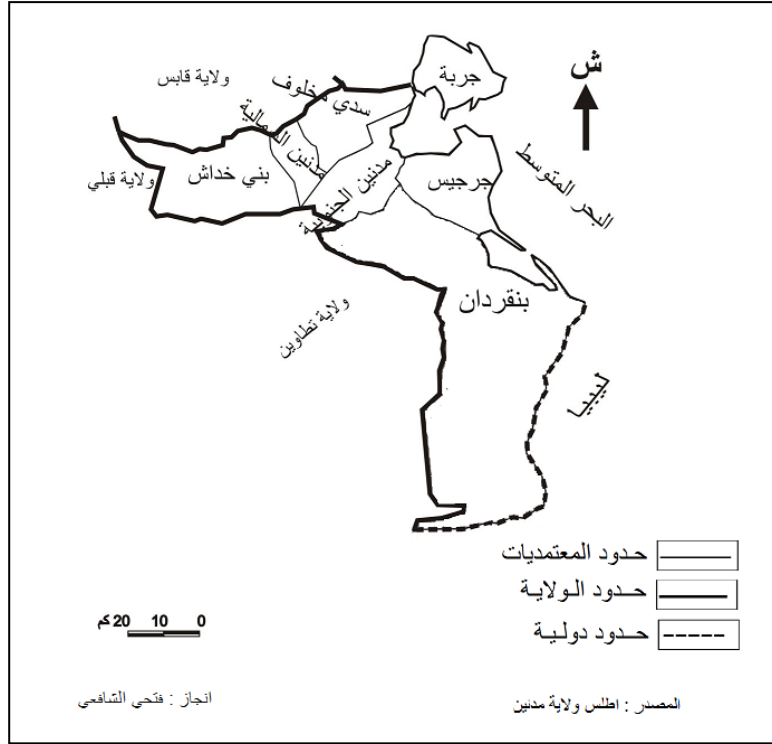
⁵⁹ قسم التراب الوطني خلال الفترة الاستعمارية إلى 20 مراقبة مدنية إضافة إلى التراب العسكري بالجنوب.

⁶⁰ القيادة سلطة محلية أثناء فترة الحماية الفرنسية.

⁶¹ تقسيم عروشي بالأساس وعلى كل عرش نجد الشيخ.

⁶² Ben Jelloul M. , 2018.

⁶³ لم يؤثر إحداث ولاية تطاوين سنة 1981 كثيرا على وزن ولاية مدينين حيث ضمت مدن صغرى لا يتعدى عدد ساكنها 5 الاف ساكن سنة 1984 كغمراسن ورمادة والبنر الاحمر.. في حين بقيت اهم المدن بولاية مدينين.



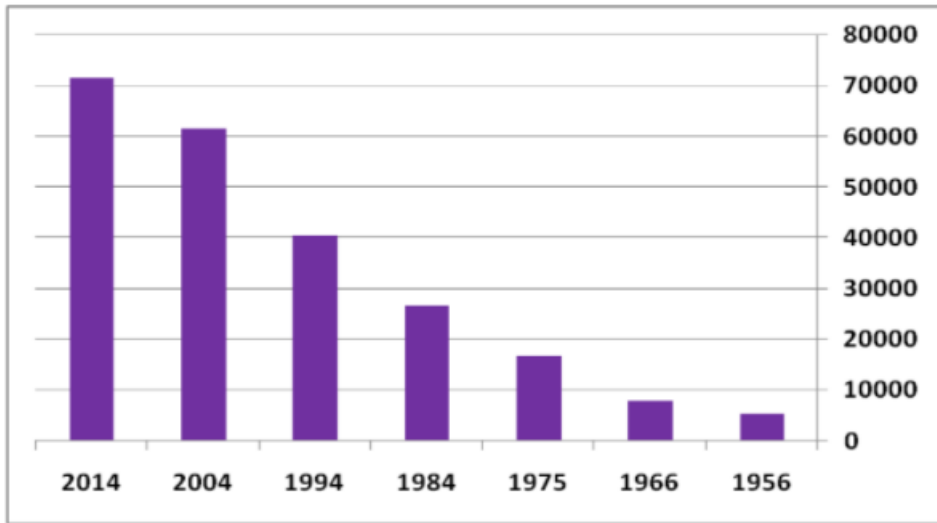
حضيت مدينة مدين منذ الاستقلال باهتمام الدولة واستفادت من استثمارات عمومية ضخمة ساهمت بدرجة كبيرة في تدعيم تجهيزاتها وتنويع وظائفها وأحداث اغلب الإدارات المحليّة والجهوية، وعرفت منذ مطلع الستينات من القرن الماضي دينامية مجالية وديمغرافية سريعة مكنت من تغيير ملامحها الحضريّة.

2-1- دينامية ديمغرافية ومجالية سريعة

1-2-1 نمو ديمغرافي سريع

منذ الاستقلال عرفت مدينة مدين نموا سكانيا سريعا وتضاعف عدد سكانها قرابة 14 مرة منذ أواسط القرن العشرين لتتجاوز 70 ألف ساكن سنة 2014، وأصبحت تحتل المرتبة 14 في التسلسل الحضري للبلاد التونسية.

الرسم عدد 01: تطور عدد سكان مدينة مدينين



المصدر: المعهد الوطني للإحصاء تعداد سنوات 1956، 1966، 1984، 1975، 1994،

1994، 2004، 2014

وتفسّر هذه الدينامية الديمغرافية السريعة بعاملين أساسيين: أولها أهمية النمو الطبيعي بالمدينة الذي فاق 2% من ستينات إلى ثمانينات القرن العشرين، والعامل الثاني يتمثل في الاستقطاب المتواصل للحركات الهجرة من الأرياف المجاورة كبوغرة وكوتين وحسي عمر وسيدي مخلوف... وأيضا من المدن المجاورة كبن قردان وجرجيس وبني خدّاش والبئر الأحمر وغمراسن... لتنامي الوظائف الإدارية وارتفاع مستوى الخدمات. وعلى امتداد الفترة الممتدة من 1966 إلى 2014 استقبلت مدينة مدينين 35 ألف مهاجر وسجلت إلى حدود سنة 1994 حصيلة هجرية ايجابية متواصلة بلغت أكثر من 3 آلاف وافد بين 1984 و1994، ومع أواخر القرن الماضي وتنامي عمليات الهجرة السرية نحو أوروبا أصبحت مدينة مدينين تسجل حصيلة هجرية سلبية.

الجدول عدد 01: تطور الحركة الهجرة لمدينة مدينين

2014 - 2004	2004-1994	1994-1984	1984-1975	1975-1966	
7612	6884	6083	6780	7015	الوافدون
7690	8190	2738	4450	6931	المغادرون
-78	-1306	3345	2330	84	الحصيلة

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء تعداد سنوات 1956، 1966، 1984، 1975، 1994،

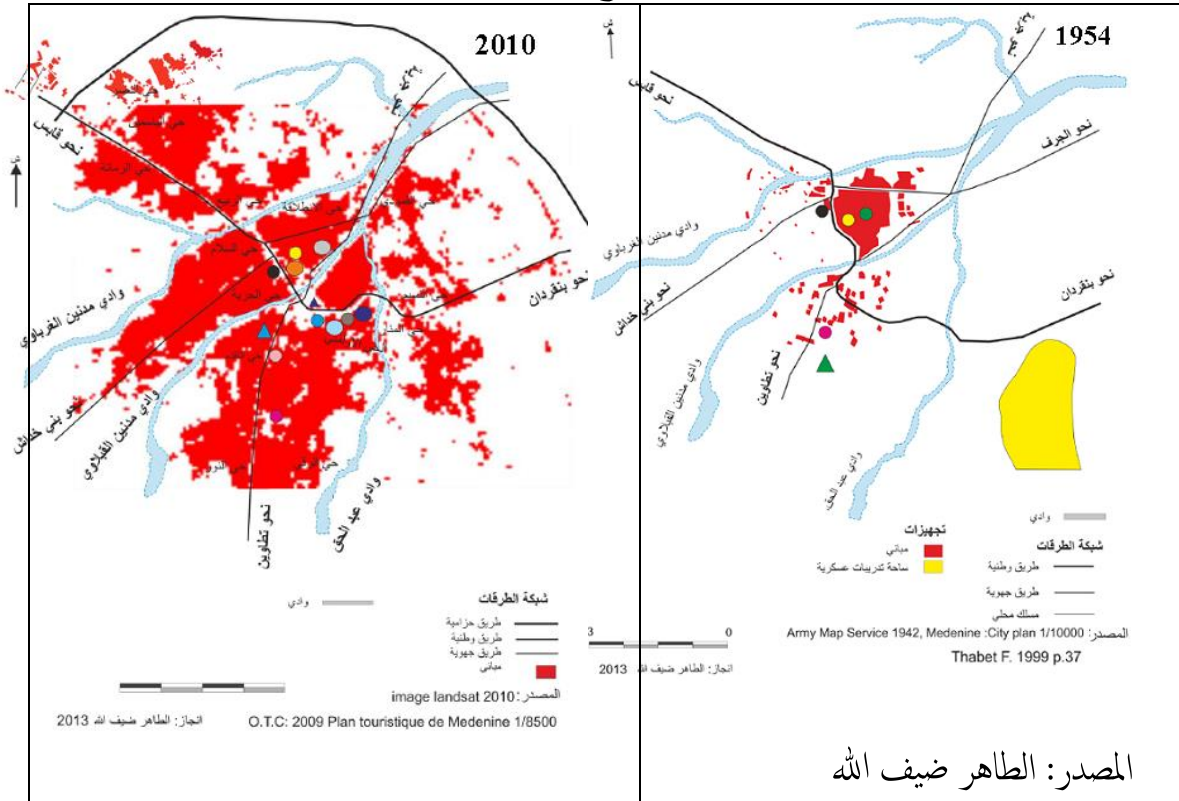
1994، 2004، 2014

2-2-1- دينامية مجالية سريعة

تكونت النواة الأولى لمدينة مدينين حول ضريح الوالي الصالح علي بن عبّيد ثم توسعت بسرعة على مراحل في كافة الاتجاهات متحدية مجموعة من العوائق الطبيعية أهمها المجاري المائية كواد

مدنين الذي يمرّ من وسط المدينة وواد عبد الحق... ففي مرحلة أولى توسعت بصفة شريطية على الطرقات الوطنية والجهوية كالطريق الوطنية عدد 01 باتجاه بن قردان وقابس والطريق الوطنية عدد 19 باتجاه مدينة تطاوين والطريق الجهوية عدد 108 باتجاه جربة والطريق الجهوية عدد 113 باتجاه بني خدّاش (ضيف الله ط..، 2016). وفي مرحلة ثانية تكونت أحزمة عمرانية دائرية تربط بين المحاور السابقة، وفي مرحلة ثالثة اتصلت مدينة مدنين بالمجالات السكنية المجاورة كأم التمر واللّبة وحسي ضيف الله وبني غزّيل... وفي مرحلة رابعة اتجه التوسع العمراني إلى المجالات السكنية البعيدة نسبيا عن مركز المدينة كعمرة بطريق جربة وحسي عمر بطريق بن قردان وأيضا باتجاه منطقة حروب... وساهمت هذه الدينامية المحلية السريعة في توسع المجال الحضري للمدينة من 150 هك عند الاستقلال إلى قرابة 6 آلاف هك سنة 2020.

الخريطة عدد 03: التوسع المجالي لمدينة مدنين.



تحولت مدينة مدنين في ظرف نصف قرن من مدينة صغيرة إلى مدينة متوسطة وذات أنشطة حضرية متنوعة وهيمنة الوظيفة العمومية.

2- تنوع وظائف مدينة مدين

عرفت مدينة مدين بعد ارتقاءها إلى مركز ولاية منذ الاستقلال تنوعا في وظائفها الحضرية لأهمية الاستثمارات العمومية وتماشيا مع خيارات الدولة التونسية للحدّ من المركزية وتدعيم المراكز الجهوية. وسنقتصر في هذا العنصر على دراسة أهم الوظائف بالمدينة والتي عرفها الأستاذ محمد الجديدي كما يلي " لا ينبغي الخلط بين النشاط والوظيفة، فالنشاط مرتبط بتعاطي مهنة ما أو بشغل معين وله صبغة عامّة إذ توجد أنشطة محلية خاصة بسكان المدينة وكذلك أنشطة قاعدية موجهة للخارج. الأنشطة المحلية موجهة لمتساكني المدينة... أما الأنشطة القاعدية فهي موجهة كليًا أو في جزء منها إلى خارج المدينة وهي التي تعطي للمدينة خصوصياتها ودورها... وتعتمد الوظيفة أساسا على هذه الأخيرة".⁶⁴

1-2 الخدمات الإدارية

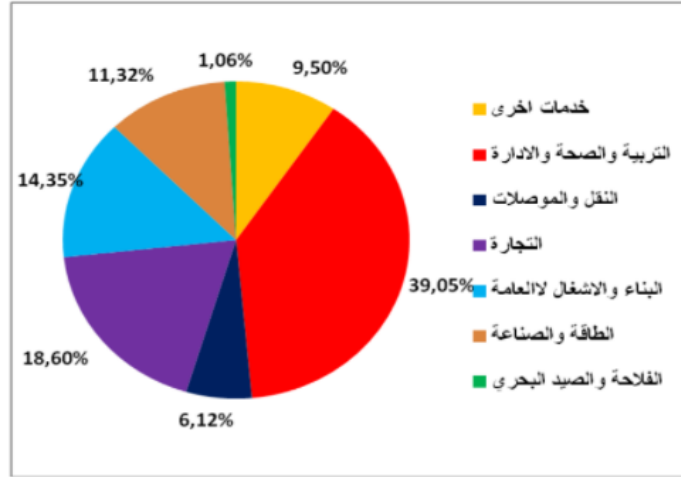
تتماز مدينة مدين باعتبارها مركز ولاية بأهمية الوظيفة الإدارية وتتواجد بها جلّ الإدارات الجهوية لمختلف الوزارات والمؤسسات العمومية الوطنية والدواوين.

● **مقر مركز الولاية:** تحتضن مدينة مدين مركز الولاية منذ 1956، والولاية في التشريع التونسي هي جزء من التراب الوطني تنبع السلطة المركزية بالعاصمة، أحدثت لتقريب الخدمات من المواطن، وضمان التّجاعة في تسيير الشؤون المحليّة، وتوصف بالدائرة التّرابية الإدارية (عندما تتصرّف باسم الدّولة والحكومة)، وبالجماعة المحليّة العمومية (عندما تتصرّف في شؤونها الجهويّة)، وتتصرف في مواردها المالية بصورة مستقلة. ويتّأس الولاية واليا ممثلا عن الحكومة، ويديرها المجلس الجهويّ⁶⁵ الذي يشرف عليها، ويتصرّف في ممتلكاتها ومكاسبها، وتمتد سلطة الولاية إلى كامل المجال الجهوي وفي شتى المجالات ادريا وسياسيا وامنيًا وتمويا... وانطلاقا من هذه المهام الموكلة للولايات فقد اكتسبت مدينة مدين أهمية مقارنة ببقية مدن الولاية.

⁶⁴ الجديدي محمد 1997 ص 286.

⁶⁵ يتركّب من الوالي كرئيس، وأعضاء مجلس النواب، ورؤساء البلديات ورؤساء المجالس القروية بالجهة

الرسم عدد 02: توزيع النشطين حسب القطاعات بمدينة مدين سنة 2014



المصدر: تعداد العام للسكان والسكنى سنة 2014

● **الإدارات الجهوية:** تتواجد بمدينة مدين كل الإدارات الجهوية لمختلف الوزارات الصحة والتعليم والتجارة والنقل وأملاك الدولة والمالية والتجهيز والإسكان... باستثناء الإدارة الجهوية للسياحة التي يوجد مقرها بجزيرة جربة⁶⁶، إضافة إلى الإدارات الجهوية لبعض المؤسسات العمومية ذات الصبغة الإدارية كالوكالة العقارية لسكنى والشركة الوطنية العقارية والمعهد الوطني للإحصاء... وأيضا الإدارات الجهوية لبعض الدواوين كديوان الصناعات التقليدية وديوان التجارة... وتقوم هذه الهيكل بالأشراف الإداري على كامل مجال الولاية وتساهم في تنمية علاقات مدينة مدين.

2-4- الوظيفة القضائية: مدين مدينة قضائية بامتياز

اختصت مدينة مدين منذ الاستقلال بالوظيفة القضائية وتركزت بها منذ 1956 محكمة الناحية ثم المحكمة الابتدائية سنة 1968 وتدعمت الوظيفة القضائية أكثر مع إحداث محكمة الاستئناف سنة 1987 وفي سنة 1994 وقع تركيز المحكمة العقارية، وأصبحت المدينة مركزا قضائيا بامتياز تجاوز إشعاعه حدود المدينة إلى كامل الولاية وحتى الجنوب الشرقي.

الجدول عدد 02: الوظيفة القضائية ببعض مراكز الولايات بالجنوب التونسي سنة 2017

مدين	تطاوين	قابس	قبلي	عدد المحاكم
04	02	04	01	عدد المحاكم
52	11	57	13	قضاة
196	30	206	76	اعوان

المصدر: ديوان تنمية الجنوب: نشرية إقليم الجنوب في أرقام 2017

⁶⁶ وقع تركيز الإدارة الجهوية للسياحة بجزيرة لاهمية هذا النشاط بها.

2-2- الخدمات الصحية... محدودة وتشهد منافسة

يتصف القطاع الصحي العمومي بمدينة مدينين بالمحدودية ويشكو من نقص التجهيزات وينحصر في الخدمات التي يقدمها المستشفى الجامعي بمدينين وبالرغم من تعدد أقسامه فإنه يشكو من نقص كبير في أطباء الاختصاص وفي الإطارات الشبه الطيبية وفي التجهيزات، ولم تتمكن الوظيفة الصحية في المدينة من بسط إشعاعها على كامل الولاية واقتصرت على بعض المناطق المجاورة في شعاع لا يتعدى 20 كم، نظرا للمنافسة الكبيرة من بقية مدن الولاية كجربة وجرجيس.

الجدول عدد 03: توزيع الإطارات الطيبية بولاية مدينين سنة 2017

المجموع	طب أسنان	طب اختصاص	طب عام	
66	05	31	30	مدينين
36	04	12	20	جرجيس
34	02	12	20	بنقردان
60	04	34	22	حومة السوق
10	02	0	08	ميدون
06	01	0	05	اجيم
08	01	0	07	سيدي مخلوف
10	02	0	08	بني خدّاش
230	21	89	120	المجموع

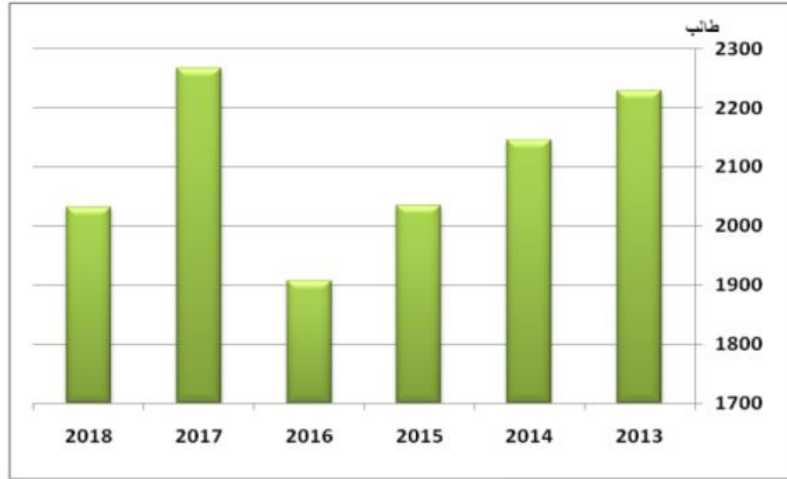
المصدر: الإدارة الجهوية للصحة بمدينين، احصائيات 2018

3-2- التعليم العالي... وظيفة ناشئة وفي تدم

تعتبر وظيفة التعليم العالي حديثة نسبيا بمدينة مدينين ولم تظهر أول مؤسسة جامعية إلا في سنة 2004⁶⁷ وفي سنة 2007 ارتفع عددها إلى خمسة، وتمكنت هذه المؤسسات من استقطاب أعدادا كبيرة من الطلبة اغلبهم من مناطق الولاية أو من الولايات المجاورة كتطاوين وقابس... ورغم بعض التذبذب فإن عدد الطلبة استقر في حدود 2000 طالب، كما عرف عدد المدرسين أيضا عدم استقرار في السنوات الأخيرة وبقي منحصرًا في حدود 200 أستاذ أغلبهم بصفة عرضية أو عن طريق الإلحاق.

⁶⁷ المعهد العالي للبيرو لوجيا.

الرسم عدد 03: عدد تطور عدد الطلبة بمدينة مدين



المصدر ديوان تنمية الجنوب ولاية مدين في ارقام 2019

5-2- الوظيفة المالية

تشهد الوظيفة المالية بمدينة مدين تدعما متواصلا في العقود الأخيرة واستقطبت مجموعة من المؤسسات المالية العمومية والشبه العمومية، إضافة إلى احتضانها لمقر البنك المركزي منذ أكثر من نصف قرن والمقرات الجهوية لأغلب البنوك التجارية في البلاد، فان المدينة عرفت في السنوات الأخيرة تركزا لمجموعة من الشركات الاستثمارية أهمها شركة الاستثمار بالجنوب⁶⁸ التي تمتد نشاطها على كامل إقليم الجنوب الشرقي ومجموعة من شركات الإيجار المالي والصناديق الاستثمارية.

تشهد مدينة مدين تناميا متواصلا لوظائفها العمومية، التي مكنتها من تدعيم إشعاعها جغويا وإقليميا وتنوع شبكة العلاقات.

3- تدعيم علاقات المدينة

تمتلك اغلب المدن شبكة علاقات متنوعة تختلف حسب أنشطتها الاقتصادية ووزنها الديمغرافي وموقعها الجغرافي.

« La ville est un territoire particulier ou une combinaison de territoire; elle repose, d' autre part, qu'il s' agisse de ses besoins quotidiens, de ses sources d'alimentations et de revenus, de domination ou de services, sur un jeu d attraction et de rayonnement à l' extérieur. »⁶⁹

ومدينة مدين تمكنت بفضل مختلف الخدمات العمومية المتركزة بها من إنشاء شبكة علاقات متنوعة وممتدة لكنها تبقى متفاوتة الأهمية في ظل التنافس الحضري الموجود بين مدن ولاية مدين.

⁶⁸ شركة مالية شبه حكومية تأسست سنة 1995 مقرها الاجتماعي بمدينة مدين.

⁶⁹ Marcel Roncayolo (1997) :La ville et ses territoires, p. 19

الجدول عدد 04: عدد سكان مدن ولاية مدين سنة 2014

المدينة	بن قردان	مدين	جرجيس	جزيرة جربة*	بني خداش
السكان	66567	71695	72611	163726	2930

المصدر: المعهد الوطني للإحصاء، تعداد 2014

● توجد في جزيرة جربة 3 بلديات وهي حومة السوق وميدون واجيم وتم اعتبارهم مدينة واحدة

3-1- علاقات المدينة بالمجال المجاور: تأثير كلي

ساهم الموقع الجغرافي لمدينة مدين والذي يتوسط مجموعة من التجمعات القروية الصغيرة كجوغارة ووادي السدر وكوتين وام التمر وحسي عمر... في قيام مدينة مدين بدور أساسي في استقطاب مجالها المجاور والإشراف عليه بصفة مباشرة، ويعكس حجم التنقلات اليومية بين مركز المدينة والأطراف درجة هذا الاستقطاب، الذي يبرز من خلال أهمية تردد سكان المجالات المجاورة على وسط المدينة وأيضا من خلال كثافة التيارات البشرية اليومية باتجاه مركز مدينة مدين، وحسب العمل الميداني خلال شهر جوان 2021 مع أصحاب وسائل النقل العمومي فان مركز المدينة يستقبل يوميا ما بين 20 إلى 30 ألف وافد من المناطق المجاورة ويرتفع العدد بالنصف يوم الأحد مع انعقاد السوق الأسبوعية. وتمثل الخدمات العمومية أهم الآليات التي مكنت مدينة مدين من القيام بهذا الدور لتركزها بوسط المدينة، فالتجمعات السكنية وبالرغم من وزنها الديمغرافي المتنامي، مازالت تشكو نقصا فادحا في مستوى التجهيز والمرافق العمومية التي تنحصر في بعض الخدمات البسيطة كالتعليم الابتدائي. وقد صرح جميع المستجوبين أثناء العمل الميداني المذكور سابقا، على أهمية ترددهم بصفة مستمرة على بلدية مدين لقضاء بعض الشؤون الإدارية التي بقيت متركزة بوسط المدينة. وتستقطب الخدمات الإدارية والصحية والدراسة والمالية أكثر من نصف الوافدين على مركز المدينة، وتاليها الخدمات البلدية من استخراج وثائق الحالة المدنية والحصول على رخص البناء والربط بشبكات التنوير والمياه..

الجدول عدد 05: نسبة تردد المواطنين على المصالح الإدارية لبلدية مدين

المصلحة	التهيئة العمرانية	الجباية	الحالة المدنية	الشؤون الاقتصادية	بقية المصالح
النسبة	20%	09%	53%	08%	10%

المصدر: بلدية مدين

وبصفة عامة ساهمت مجموعة من الآليات في تدعيم استقطاب مدينة مدين لمجالها المحلي وتأثيره والتحكم فيه بصفة فردية وساعدها في ذلك تخطيطها الشعاعي، الذي جعل من المركز نقطة ثقل وربط بين مختلف أجزائها. وتدعم الاستقطاب بالتركز الكبير للأنشطة الاقتصادية والإدارية

وأيضاً لغياب الظهير الريفي والبعد النسبي للمدن المجاورة التي لم تتمكن من منافسة مركز المدينة في استقطاب جزء من سكان منطقة الدراسة.

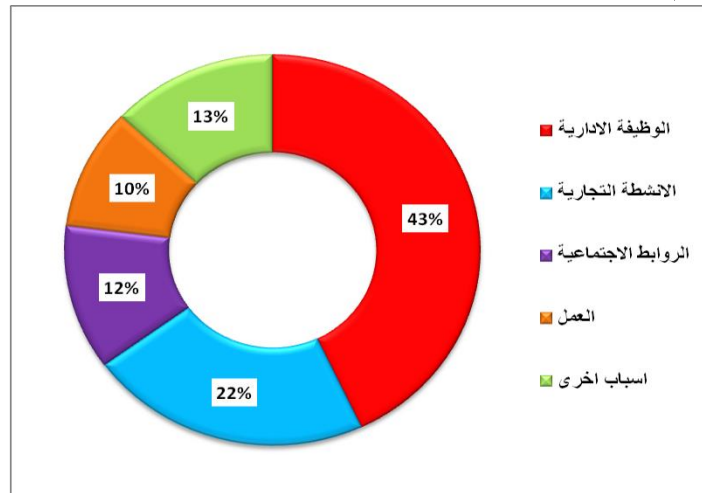
2-3-2- علاقات مدينة مدين مع مدن الولاية

ترتبط مدينة مدين مع مدن محيطها الإداري بمجموعة من العلاقات التي حتمتها مكائنها كتركز للولاية وتبدو هذه العلاقات متخصصة بدرجة كبيرة، ويغلب عليها الطابع الإداري لكنها تبقى متفاوتة الأهمية.

3-2-1- متانة العلاقات مع مدينة بن قردان

تمكنت الخدمات العمومية بمدينة مدين من استقطاب مدينة بن قردان بصفة كبيرة من خلال كثرة التنقلات اليومية والأسبوعية بين المدينتين، فعلى سبيل المثال واعتمادا على العمل الميداني سنة 2019 وإحصائيات قطاع النقل تسجل مدينة بن قردان يوميا انطلاق ادفاق بشرية هامة باتجاه مدينة مدين وتصل إلى أكثر من 2000 شخص باستعمال وسائل نقل مختلفة. ويمثل الطلبة والموظفين والتجار أهم نسبة من المسافرين بين المدينتين. وتعتبر الوظيفة الإدارية لمدينة مدين من أهم الوسائل التي مكنت من استقطاب متواصل لسكان مدينة بن قردان، فحسب نفس العمل الميداني يتنقل قرابة نصف المستجوبين من مدينة بن قردان إلى مدينة مدين لقضاء شؤون إدارية، وتأتي الوظيفة العدلية في الصدارة بنسبة تقارب 1/4 وتاليا الوظيفة الجامعية ثم الخدمات الإدارية والمالية.

الرسم عدد 04: أسباب تردد سكان مدينة بن قردان على مدينة مدين



المصدر: بحث ميداني 2019

3-2-2- علاقات متوسطة مع مدينة جرجيس

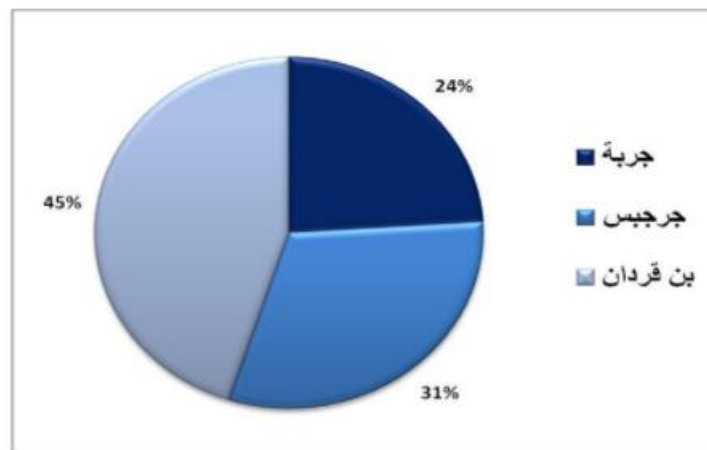
تمكنت مدينة جرجيس منذ سنوات من استقطاب بعض الوظائف ذات الإشعاع الجهوي وامتلكت نوعا من الاستقلالية على مركز ولاية مدين، كالخدمات الاجتماعية التي استقلت

بصفة كلية عن مركز الولاية وتركز بالمدينة فرع للصندوق الوطني للتضامن الاجتماعي وفرع للصندوق الوطني للتأمين على المرض، كما تملك مدينة جرجيس إقليم خاص للشركة الوطنية للكهرباء والغاز... إضافة إلى استقلالية تامة في المجال الصحي بل أن مدينة جرجيس أصبحت تستقطب أعدادا هامة من سكان مدينة مدينين في هذا المجال. في المقابل مازال استقطاب مدينة مدينين لمدينة جرجيس مرتفعا في بعض الخدمات الإدارية المرتبطة بمقر الولاية وبعض الإدارات الجهوية وأيضا في الوظيفة القضائية التي تقتصر على محكمة ناحية فقط بجرجيس.

3-2-3- علاقات إدارية محدودة بجزيرة جربة

تملك جزيرة جربة نوعا من الاستقلالية الإدارية على مدينة مدينين نظرا لوجود مجموعة من الإدارات ذات الصبغة الجهوية كالإدارة الجهوية للسياحة والإدارة الجهوية للصناعات التقليدية، وكذلك اغلب الصناديق الاجتماعية إضافة إلى مجموعة من المؤسسات المالية وتبرز استقلالية جزيرة جربة أكثر على مدينة مدينين في مجال الخدمات الصحية لأهمية المؤسسات العمومية والخاصة بل تمكنت جزيرة جربة من استقطاب أعداد كبيرة من سكان مدينة مدينين، وفي مجال النقل وبحكم تواجد مطار دولي تمكنت جزيرة جربة من بسط نفوذها على كامل الجنوب الشرقي. وتعمل هيكل المجتمع المدني بجزيرة جربة في نطاق مطالبتها بإحداث ولاية إلى استقلال أكثر على مدينة مدينين ويبقى الارتباط بها إلا في بعض الخدمات أهمها الوظيفة القضائية والخدمات الإدارية لمركز الولاية. وتؤكد حركة سيارات الأجرة الوافدة على مدينة مدينين من داخل الولاية ضعف العلاقات بين جزيرة جربة ومدينة مدينين والتي لا تتجاوز الخمس بينما تصل إلى قرابة النصف من مدينة بن قردان.

الرسم عدد 06: سيارات الأجرة الوافدة على مدينة مدينين من داخل الولاية



المصدر: الغرفة الجهوية لسيارات الأجرة بمدينين، 2020

عموماً يختلف إشعاع مركز ولاية مدينين باتجاه بقية مدن الولاية، لكنها تبقى غير قادرة على تاطير مجالها الجهوي، لتقارب الوزن الديمغرافي بين مدن الولاية من جهة، واهمية مستوى التجهيز بالخدمات العمومية بأغلبية مدن الولاية من جهة أخرى.

الجدول عدد 06: توزيع مستوى الوظائف ببعض مدن ولاية مدينين

الوظيفة	الوظيفة الادارية	الوظيفة القضائية	الوظيفة الصحية	الوظيفة الجامعية	الوظيفة السياحية
مدنين	هامة	هامة	محدودة	متوسطة	-
جرجيس	متوسطة	محدودة	هامة	-	هامة
بن قردان	محدودة	محدودة	محدودة	-	-
جربة	هامة	محدودة	هامة	متوسطة	هامة

المصدر: بحث شخصي

(-) وظيفة غير موجودة

3-3- وظيفة إقليمية في طور التركيز

بحكم موقعها الجغرافي الرابط بين ولايتي تطاوين وقابس (VILLE CARREFOUR)، قامت الدولة بتركيز بعض المؤسسات الإقليمية بمدينة مدينين التي ساهمت بصفة كبيرة في تنمية إشعاعها الإقليمي على غرار ديوان تنمية الجنوب⁷⁰ الذي يمتد نشاطه على كامل الجنوب التونسي ونفس الوضعية لمعهد المناطق القاحلة⁷¹ وأيضاً الشركة العقارية للبلاد التونسية بالجنوب وكذلك الوكالة العقارية للسكنى إضافة إلى وجود مقر المعهد الوطني للإحصاء، كما ساهمت بعض الوظائف الناشئة كالمالية والجامعية في تنمية علاقاتها على المستوى الإقليمي. وتعمل مختلف الأطراف الفاعلة بمدينة مدينين من هياكل عمومية وخاصة ومجتمع مدني على تدعيم مكاتبا الإقليمية و استقطاب بعض الوظائف ذات الإشعاع الإقليمي في المستقبل في مجالات مختلفة كالصحة⁷² والنقل...

ويعكس حجم علاقات مدينة مدينين مع مدن ولاية تطاوين هذه المكانة الإقليمية من خلال استقطاب أعداد متزايدة من سكان معتمدية البئر الأحمر التي لا تبعد سواء 20 كم مقابل 30 كم على مركز ولاية تطاوين وغمراسن وحتى من مدينة تطاوين في حد ذاتها، وخلال عمل ميداني بإحدى المؤسسات التربوية بمدينة تطاوين حول أسباب تردد سكان المدينة على مدينة مدينين لاحظنا أهمية العلاقات بين المدينتين التي ترتبط مباشرة بمستوى إشعاع الخدمات العمومية بمدينة مدينين.

⁷⁰ مؤسسة تنمية مقرها بمدينة مدينين وتشرف على كامل الجنوب التونسي

⁷¹ مؤسسة جامعية بجنبة مقرها مدينة مدينين

⁷² وقع تحويل مستشفى الحبيب بورقيبة مدينين الى مستشفى جامعي كما تمت برمجت الولة منذ سنوات احداث كلية للطب بمدينين.

الرسم عدد 05: أسباب تردد سكان ولاية تطاوين على مدينة مدين



المصدر: عمل ميداني سبتمبر 2021

كما تمكنت مدينة مدين من استقطاب سكان بعض المناطق المجاورة من ولاية قابس كغرام التي ترتبط بصفة تكاد تكون كلية بمدينة مدين في مجال الوظائف المالية والجامعية والصحية... وكذلك أعداد هامة من سكان مدينة مارث التي تبعد 35 كم عن مدينة مدين ونفس الوضعية لدخيلة توجان المرتبطة أكثر بمدينة مدين عوضا عن مركز ولاية قابس.

الخلاصة

اكتسبت مدينة مدين منذ القديم مكانة متميزة وسط النسيج الحضري بالجنوب الشرقي للبلاد التونسية واضطلعت بدور القيادة منذ الفترة الاستعمارية وتدعمت المكانة أكثر اثر الاستقلال وأصبحت مركز ولاية مدين، وحضيت باستثمارات عمومية كبيرة مكنتها من تحسين مستوى تجهيزها وتنوع وظائفها. لكن وجودها في وسط مجموعة من المدن المتقاربة ديمغرافيا ومنتافسة حضريا حدّ من إشعاعها الجهوي وجعلها غير قادرة على بسط نفوذها على كامل الولاية. وقام هذا التنافس الحضري بدور مزدوج ومتضارب أحيانا، فعلى المستوى الجهوي ساهم تقارب المدن في حجمها السكاني وفي التجهيزات وغياب مدينة مؤطرة في تراجع وزن مدينة مدين في مستوى الولاية، في المقابل مكنتها من استقطاب بعض الوظائف الإقليمية وتنمية إشعاعها، وهي مقترحة حسب دراسة للمعهد التونسي للدراسات الإستراتيجية سنة 2016 لتكون عاصمة لإقليم الجنوب. ولتقوم بهذا الدور يجب عليها تجاوز بعض الرهانات المطروحة وأولها المحلية، فموضع المدينة الحالي مع كثرة الضغط العمراني وتشبع المجال لا يسمح بتركيز مزيد من الوظائف والتجهيزات ويطرح حتمية التفكير في بناء مدينة جديدة قادرة على القيام بدورها الجهوي والإقليمي في المستقبل.

المراجع

ديوان تنمية الجنوب (2005- 201 - 2013 - 2015 - 2019): ولاية مدينين في أرقام 122 ص.

التايب كرشيد عائشة (1997): حركة الهجرة السرية والتجارة الموازية عبر الحدود التونسية الليبية وظاهرة التهريب بأقصى الجنوب التونسي، أطروحة دكتورا في علم الاجتماع كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس.

الجديدي محمد: (1987): "تطور العلاقات بين المدن والمحيط في الساحل التونسي"، المجلة الجغرافية التونسية عدد 15، ص 5 - 37.

ستهم حافظ (1999): شخصية الأقاليم التونسية مركز النشر الجامعي 333 ص

الشافعي فتحي (2020): العلاقات التجارية والمالية الموازية لمدينة بن قردان، اعمال الندوة الدولية الثالثة لوحدة البحث الأقلمة والتنمية الإقليمية والحضرية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس حول المدينة المتوسطة أي دور في إطار الحوضرة، مركز النشر الجامعي صص 377 - 404.

الشافعي فتحي (2020): دينامية المجال الحضري والتحويلات الاقتصادية والاجتماعية بين قردان، أطروحة دكتورا في الجغرافيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 465 ص.

ضيف الله طاهر (2016): مدينة مدينين دراسة في الجغرافيا العامة وجغرافية العلاقات، رسالة دكتورا في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بصفاقس، 416 ص.

فتحي الرقيق (1985): الهجرة والسكن في بن قردان، شهادة الكفاءة في البحث، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 312 ص.

ليسير فتحي (1998): قبائل أقصى الجنوب التونسي تحت الإدارة العسكرية، الفرنسية: نجع ورغمة نموذجاً 1881-1939، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان، 394 ص

مقني رضا (2008): الاستعمار الفرنسي والمجال التونسي: المنطقة العسكرية بالجنوب الشرقي نموذجاً 1881 - 1938، شهادة ماجستير في التاريخ المعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس، 316 ص.

Beaujeu-Garnier J., (1980) : Géographie urbaine, Edition

Armand Colin

Paris, 360 p

Belhedi A., (1998) : Repères pour l'analyse de l'espace, - Tunis : -

Cahiers

du C.E.R.E.S., n° 19, 459 p -

Ben Jelloul M., (2018) : Régionalisation et découpage territorial en Tunisie: de la gestion centralisée à la gouvernance territoriale. les découpage territoriaux , actes du colloque de l' UR 12-14 novembre 2015. Pp29 - 58.

- Boubakri H., 2000 « Echanges transfrontaliers et commerce parallèle

- aux frontières tuniso-libyennes », Monde Arabe Maghreb Machrek,
- n°170, octobre décembre 2000, p.p.39-51.
- **Boubakri, Hassan & M'barek, Wafa.**, 2010. Lieux, acteurs et réseaux de l'économie informelle à la frontière tuniso-libyenne (16 pages).
- In BONTE, Pierre et autres : Développement rural, Environnement et Enjeux territoriaux : regards croisés Oriental marocain et Sud-Est tunisien. IRD & Cérés Edition. Tunis. 2010.
- **Di Méo G.** (1998) : Géographie sociale et territoires, Nathan, Paris, 320 p
- **Martel A.**, (1965) : Les confins saharo- tripolitains de la Tunisie (1881-1911), 2tomes, Publication de l'Université de Tunis, Faculté des Lettres et Sciences Humaines, 4^{ème} série histoire volume V, 786 p.
- **Mzabi H.**, (1993) : La Tunisie du Sud Est :, Géographie d'une région fragile et dépendante, Université de Tunis I, Faculté de Sciences Humaines et Sociale, 2^{ème} série géographique, imprimerie officielle de la République Tunisienne, 685 p
- **Signoles P.**, (1985) : L'espace tunisien : Capitale et Etat-région. Tours : URBA.M.A., 2 tomes (549 p. + 517 p.), Fascicules n°14 et 15.
- **TABIB R.**, (2011) : Effets de la frontière Tuniso-libyenne sur les recompositions économiques et sociales des Werghemmas, de la possession à la réappropriation des territoires. Thèse de Doctorat, Géographie et Anthropologie, Université François-Rabelais, Tours, 479 p.